وأظن أنهما يعترفان بذلك معنا ، وكان الاجدر بابن عباد أن يختار لنقده مثل شاعر الحمراء والسيد علال الفاسي والسيد عبد المالك البلغيثي والشاعر المطبوع وغيرهم من الشعراء حقاً بدل أن يبدأ بفقيه ومؤرخ قد يحسنان قواعد النظم والعروض ولكنهما لم ينتحلا قط لقب شاعر .

ابن عمار

— نشكر لـ(صديق) تفضله بارشادنا الى ما يراه صواباً ، ولسنا على رأيه في بعض الملاحظات ، فقد خيل اليه أن بالمغرب طائفتين منفصلتين طائفة الشباب وينسب اليها النقد وطائفة الشيوخ ويظن أنها تستنكر النقد وعلى هذه النظرية بنى مقاله ، وليس في الاصالة تباين بين الشبان والشيوخ وليس فيها فرق ما بين طبقات الامة ، والكل على رأي واحد في ضرورة بعث الادب من مرقده وترقية اساليب التفكير بسائر الوسائل . ولم نفهم ما كتب الكاتب عن المخزن الشريف ، وادخاله في قضية أدبية خاصة وعلى أي حال فان النقد ضروري للادب وكيفما كان فكر (صديق) فان كتابنا يخالفونه ، ومن الرسائل التي وصلتنا نقتطف هاته الجملة جاءت في كتاب لاحد رجال النهضة البارزين بقطر شقيق وفيه كفاية :

« قرأت في العدد الاخير الفصل الذي عنوانه « لذعات بريئة ... » فأعجبني كثيراً ولقد بلغ الناقد ابن عباد في فصله هذا غاية الابداع وعساه اذا استمر على نشر هذه « اللذعات البرئية » ينفض عن الادب العربي الحاضر في المغرب الاقصى وفي الجزائر وفي تونس غبار الكسل والخمول ويكسر عنه القيود والاغلال ويحدوه أن يؤدي مهمته على الوجه المستحب وان مهته لعظيمة جداً

ولولا خلال سنها الشعر ما درى

بناة المعالي كيف تبني المكارم »

هذا ولدينا المقالة الثانية من السلسلة التي وعد بها ابن عباد والزمنا افساح المجال للرد ارجاءها للعدد المقبل وسيرى فيها (ابن عمار) و (صديق) أن ما لاحظاه لم يكن ليخفى منه شيء على مثل مساعدنا النبيل .

الادب الباكي والادب الضاحك

كان الاديب السوري السيد السمان القى بنادي طلبة شمال افريقيا المسلمين ببارز محاضرة قيمة في موضوع يشغل افكار كتاب اللغة العربية منذ سنين وهو ـ الادب الباكي والادب الضاحك ـ أو أدب القوة وأدب الضعف ، ونشرنا في العدد الثامن عشر من المجلة نبذة من ملخص هاته المحاضرة بقلم الشاب الاديب السيد عبد المجيد حجي ولم يتيسر لنا نشر بقيته في الاعداد بعد ، والى القراء ملخص صديقنا حجي مع اعادة نشر النبذة التي سبق زفها للقراء ليسهل عليهم تتبع الموضوع بتمامه :

ليس بخاف على القارئ ما حدث في نفوس الشباب يوم سمعوا القطعة الشعرية للاستاذ بشاره الخوري المدعو بالاخطل الصغير ، والتي غناها بصوته الملائكي الاستاذ محمد عبد الوهاب :

الهوى والشباب والامل المنشو

د ضاعت جميعها من يديا

إلى أن يقول :

يشرب الكاس ذو الحجا ويبقى

لغد في قرارة الكأس شيا

لم يكن لي غد فأفرغت كأسي

ثم حطمتها على شفتيا

هنا كان اول من اعلن هذه الثورة الادبية اديب وفيلسوف لبنان الاستاذ الكبير امين الريحاني حيث وقف خطيب طلاب الجامعة الوطنية ـ بعاليه ـ وقال : « في هذه البلاد الشرقية كثير من القلوب اللينة المترهلة بل القلوب

— دواء —

الم الاسنان — ووجع الرأس

ونزلات البرد

والرماتسم

اسبيرين

« معامل الرون »

اشهر من ان يعرف بها

ـ تباع في سائر الصيدليات ـ

المائعة الذائبة قلوب تذوب كلما ناح الحمام ، قلوب تميع كلما اهتز الورد في الاكمام ، قلوب شرقية مائعة على الدوام ، ونحن في زمن الحديد والكهرباء ! ان حاملي هذه القلوب لأعجز في المحن والنكبات من فراخ القطا ، ولأجبن من صغار الارانب ، وما اسرعنا وهذه قلوبنا إلى الشكوى والانين والندب والنحيب كأننا في مندب دائم . »

ثم يقول في خطبته : « اننا والحق يقال أكثر بكاء وأشد انتحابا من جميع الشعوب ، وما السبب ياترى في هذا التلاغي المعنوي والروحي ؟ ان قلوب الشعراء من زجاج وأكثرهم يتموّنون منها ما يكفي الحياة الشعرية في كل ادوارها ، فاذا انكسر قلب من هذه القلوب صرخ صاحبه وصاح وأنّ وناح يجب أن ننوح مثله » .

رجع الريحاني إلى قريته بعد خطبته هذه وقامت في لبنان عليه ثورة أدبية ـ ولبنان جميل توحي سماءه وأرضه الشعر الخيالي ـ في كل قرية منه شعراء وقوّالون ، قام هؤلاء جميعاً عليه ، يدافعون عن الادب الذي يرونه أرفع من أن يشتغل في الامور السياسية والاغراض الدنوية ، هذا في لبنان ، أما في سوريا الداخلية فمنذ أربع سنوات أقام المجمع العلمي العربي حفلة تكريم لأربعة شعراء احداث في السن بمناسبة حصولهم على الشهادة الثانوية وهم السادات : أنور العطار ، وجميل سلطان والمحاسني من دمشق والسكري من شرق الاردن ، بدأ هؤلاء الشعراء بعدئذ ينشرون القصائد في الصحف اليومية والاسبوعية ، قصائد جميلة في الواقع ولكن كلها على منهج واحد تقرأ القصيدة ثم تاليتها فلا ترى بينهما فرقاً الا في الوزن ، اما المعني والالفاظ فواحدة فيها كل كلمات الأسى والموت والقبر والنواح واليأس ، أما الشباب والقوة والعزة والحماس فغريب عنها ، قال السيد أنور العطار :

أيها الصدّاح ما هذا النزوع الى الغصون
تبكي بكاء أخي الهمو م وقد توردت العيون
والدمع لا يشفي الفؤا د وإن تقرّحت الجفون
ما في بكائك راحة فدع التوجع والانين
يا شعر هل بعد الشقاء يطيب لي كأس المنون
فأنام كالاملاك مغتبطا مع الروح الامين

وقال في قصيدة اخرى : « ليل الحزين »

رب ان غاضت دموعي ألما
فمن الشافي من الوجد سواها
نضبت واستودعتني حرة
لو يكون الدمع جما لحاها
مفزعي في الخطب ما حل به
وقراً بين دموعي ما عراها

فهل يرى القارئ اللبيب في هذه الابيات غير ما ذكرناه سابقاً من الأسى والموت الخ ، مرت الايام وصار في سوريا رأي عام يدين بالحرية ويدعو للقوة : القوة العلمية والقوة المعنوية والقوة المادية ، فثار على شعرائه ، هؤلاء الذين نسوا دور الشاعر ومسخوه الى مغن يضرب على القيتارة الى نائحة تمسح دموعها بالمنديل هؤلاء الذين جعلوه شخصاً لا يعيش بين أمته ولا يعيش لاجلها ولا يستوفيها افكاره ، ولا ينشر افكارها ، بل رجلا نائياً شغله همه عن كل الهموم ، ولهي بلذته الفنية عن آلام امته ، وبكا طيف حبيب زاره في المنام ، ولم ينفخ في امته الروح القومية ويذكرها المصائب فتشجع قواها ، هؤلاء الشعراء الذين اذا مات واحد منهم بكته امة ، واذا ماتت الامة كلها لم يبكها أحد منهم .

بعد هذه الحوادث التي ذكرنا سواء في لبنان أو في سوريا قام الشباب السوري المعروف بحماسه للوطن والوطنية

وناصر الاستاذ الريحاني وعضد فكرته « الادب للحياة » لا الهية ولكنها الهية شريفة كما يقول النقادة فاكي Faguet وقامت سوريا تطلب الى الادباء والشعراء ان ينشدوها القصائد التي تذكر أهلها بآلامهم وتدعوهم الى اليقظة بعد النوم والى العلم بعد الجهل وحجج القائمين بهذه الحركة ذكرها الريحاني في كتاب نشره في سعدية ردّ فيه على من نقدوا نظريته ، وخلاصة آراء أخصام الريحاني ان للشاعر دوراً غير دور الفيلسوف والعالم والاجتماعي ، أن الشاعر يتأمل في الكون من الوجهة الفنية البحتة وهي سبيل اللذة فقط لذا يجب أن لا نخلطه مع الفيلسوف ونطلب اليه أن يضع للامه الادوية في أزماتها المعنوية . فانتقد الريحاني رأيهم هذا بعد أن بحث في الشاعر ـ لا ذلك الرجل الشخصي الانائي الذي لا يتعدى بشعره نفسه ـ والفيلسوف ، فقال « انهما يتفقان بل يمكن أن يجتمعا في شخص واحد ، ان بين الشعر الكوني الروحي وبين الفلسفة التي تقرن المادة بالروح صلة متينة ونسباً قديماً يمت الى افلاطون وهوميروس والحق يقال أن في فلسفة افلاطون شعراً صياحاً وفي شعر هوميروس فلسفة سامية ، ثم أن الحقيقة العلمية المجردة هي ناقصة نقص الحقيقة الحاضرة بالشعور وأما الحقيقة الكبرى ـ الحقيقة الدائمة ـ فانما هي التي تجمع بين الحقيقتين ، بين ما يدرك الشاعر بحسه الدقيق وما يدركه الفيلسوف بعقله المحيط ، هي حقيقة « جوتة » في « فوست » هي حقيقة « شكسبير » في « هملت » هي حقيقة « برغسون » في كتابه l'evolution créatri_e هي حقيقة المعري في اللزوميات ، هي حقيقة ابن طفيل في حي بن يقظان وهي اخيراً حقيقة ابن سينا في قصيدته النفس حين يقول وقد اخترق سرّ المادة :

هجمت وقد كشف الغطاء فأبصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع

قال الفيلسوف للشاعر : اني أعلم ما تراه ، وقال الشاعر للفيلسوف : أني أرى ما تعلم ، مثل هذا الشاعر وهذا الفيلسوف لا يختلفان وكثيراً ما يكمل الواحد منهما عمل الآخر فيدرك الفيلسوف بالفهم والاستقراء ما يفتح للشاعر أبواباً للوحي جديدة ويدرك الشاعر بالحس والتصوير ما ينبه الفيلسوف لجادة في البحث مجهولة ويوسع لديه نطاق الفكر والاكتشاف اذن لا يمكن فصل دور الشاعر عن دور الفيلسوف في الحياة العلمية بل ان جواب احدهما عنها لا يختلف عن جواب الاخر...

هناك ألم شخصي وألم قومي ، الالم الشخصي بارز في شعر الشاعر الصغير الذي يبكي وينوح ويندب حظه وقلما يتألم لغير نفسه ، ولكن الشاعر الكبير الرجل الذي يستحق أن يتشرف بلقب الشاعر يتألم ويصف الالم وصفاً يؤلمك ويهيج فيك الالم والنقمة بل يريك من الفواجع الاجتماعية

ما يضرم في صدرك نار التمرد ويشعل فيه نار الرغبة بالعمل بل نور العمل والاصلاح ، ولقد كان رهين المحبسين المعري أسوأ الناس حظاً وأشدّهم بؤساً وأرقهم شعوراً ومع ذلك فانا لنتمي ألمه الشخصي حينما نسمع في شعره رنة الالم القومي بل الانساني ، ولقد انتقد المعري المظالم والمفاسد السياسية والدينية في عصره وصاح بالمرائين صيحات مصعقات وما فقد بعد ذلك النظر الاعلى ولا تعامى عن الحقيقة الكبرى في الجمال الصافي حيث يقول :

اذا ما فعلت الخير فاجعله صافياً
لربك وازج عن مديحك السنا
فكونك في هذي الحياة مصيبة
يعزيك عنها أن تبر وتحسنا

هو ذا الألم القومي بل الألم الانساني الذي يتمثل في الشاعر الكبير فيرفعه الى أوج المعرفة والتصوير ويسلحه بالجرأة زينة الحق ، اذن فالشاعر الكبير يتألم بالألم القومي ولكن ماذا يهيج فيه الألم ؟ وهنا يثبت الريحاني أن الدموع هي مظهر من مظاهر الضعف لا من مظاهر القوّة وأنها تبدو على الضعفاء لا على الاقوياء فينصح الينا بتجفيف مستنقعات الدموع وسلالاتها ، إذ يجب على الشاعر المتألم أن يظهر قوياً في ألمه لا ضعيفاً بدمعه وأن يبعث الحياة والقوة في نفوس مواطنيه لا أن يبكي ويدعوهم للاستسلام والبكاء ، ان الدموع تسكن القوى والالم يثيرها ، والشعراء الكبار مثل ابي العلاء ودي موسي قاسوا من آلام الحياة أشدها وأنواعها لما كان في زمانهم من جهل وظلم ولكنهم لم يبكوا ولم يذرفوا الدموع الغالية بل كانوا ثائرين متمردين .

عبد المجيد حجي

بين الدين والالحاد

لا يعزب عن الناقد الخبير ، ان من الامراض الاجتماعية التي تكونت مع نشوء المدنية الحديثة الالحاد أو اللادين وضف الى ذلك الآلات الميكانيكية التي امتاز بها هذا العصر على غيره من العصور والتي نشاهدها في سائر مظاهره وبالرغم عن نفعها الجزيل ـ كانت مع داء الالحاد ـ من الاسباب المباشرة لفقد الانسان مشاعره واحساساته الروحية التي تمنحه السعادة والاطمئنان فصار كآلة مستخدمة لأصحاب رءوس الاموال المستبدّين ، وهذه من المشاكل الاجتماعيه العويصة التي لم تحل بعد ، ومن الاسباب الجوهرية التي زادها تعقيداً مظاهر المادة المتجلية في سائر مناحي حياة اوربا ، فالنفوس مجردة من الايمان الفطري الذي يفسح ارجاء الحياة ويملأها قوة وآمالا ولطفاً وتسامحاً والعالم المتمدن دائماً في اضطراب وقلق وتشاؤم ، محفرف بالمتاعب والاخطار ، والعقول ضجرة قانطة ، لا ترى أمامها الا حياة ضيقة الدائرة ، وليس للتعاليم الدينية تأثير على النفوس البتة ، وانما تلك مظاهر تنمحي من الذاكرة في حينها والعلة في ذلك أن المدنية لم تختمر اثناء تكونها بروح الدين الفطري الضروري الشعوب ، كضرورة الاحساسات التي يصدر عنها ، اذ هو خالد للمجتمع البشري مغذي الشعور الكامن ومضعف من حدة الانفعالات الطبيعية التي تصدر من اعماق النفوس ليعد بذلك التوازن في الحياة الاجتماعية بين عناصر المادة وعناصر الاحساسات الروحية وهذا مفقود لدى الشعوب الاوربية عموماً في حين أن المدنية الاسلامية استمرت قروناً وهي في اتزان تكافح في ميادين الرقي والحضارة والعمران ، وما ذاك الا بفضل ما زودها الدين الاسلامي من الايمان القوي الذي امتزج مع خلايا العروق والافئدة فأكسبها قناعة واقداماً ونشاطا ، ويشهد لذلك تاريخنا المجيد .

بيد أن المكون لفكرة الالحاد أفراد يزعمون أن ليس هناك مدبر ولا مصير لهذه الاكوان وانما الطبيعة خلقت نفسها بنفسها بدون احتياج لأحد وما دون هذا الا خرافات وأوهام فعجباً لقوم خدعتهم مداركهم بهذا التفكير العقيم مع ظنهم أنه خلاصة البحث العلمي المجرد ، اذ لو أنهم القوا نظرة اجمالية على ما حولهم من الفضاء الواسع اللانهائي لوجدوا أنه ما من حركة من حركاته الا